عندما دعاهم للخضوع حتى العبوية (٢١) ٠

ولكن فشل ثورات سنة ١٨٤٨الديموقراطية الليبرالية هو الذي انضج الظروف كما سبق ورأينا لصعود تيارات النزعة القومية الرجعية اللاعقلانية والعرقية ، لا بين الالمان وحدهم ، بل وكذلك بين الاقليات القومية في المانيا والدول المجاورة ٠ فقد كانت عواقب الفشل بمثابة الكارثة ، فقد انهارت الامال التي عقدت على الثورة الفرنسية ، وتعاظمت الفوضى ونزعات العدوان والاستبداد ، وقد هاجر من الالمان الى امريكا في السنوات العشر التالية ما يربو على المليون ٠ وبدأ اخرون في الجنوح الى اليمين ، وعقدوا الامال في الوحدة القومية على العسكرية البروسية ، وصار بسمارك وريث هذه الثورة الفاشلة ، كما سبقه نابليون في وراثة الثورة الفرنسية ٠

والواقع ان ريح الثورة المضادة كانت قد بدأت من قبل في سنوات سيطرة الحلف المقدس اثر هزيمة نابليون ٠ فالمانيا سنة ١٨١٥ كانت تحركها روح التعصب ضد اللاتين ، واصبحت شعارات الشعب الالماني هو الشعب الاصيل ولغته هي اللغة النقية ، ومسيحيته هي المسيحية الاصيلة تجري على لسان الفلاسفة الالمان ، لكن بمفهوم قومي ثوري ٠ وكان الفكر الفخي هو واضع هذه اللبنات الفكرية ٠ ولكن الاحداث تخطت الفختية والبونابرتية ٠ وجاء هيجل ليطبع الفكر الالماني بمزيد من العنف ٠ اصبحت الحرب هي التعبير عن الحق والاخلاق وبدأت تنتشر بين المفكرين الالمان صورة لالمانيا تحيط بها هالة من العظمة والتفوق الاسطوري ، يقودها ابطال تحرسهم العناية الالهية ، ويسودون على شعوب لم تستيقظ بعد ، وتحولت الاهداف القومية الالمانية ، الى اهداف اوروبية، فاصبح لالمانيا رسالة اوروبية ثقافية ٠ ورأى هيجل ان القسوة والفظاظة ذاتها قد تصبح علامة القدر ! وان التاريخ يتشكل على يد الحمقى والمجانين الذين يحركهم حماس عظيم (٢٢) فالقوة وحدها هي التي يمكن ان تقدم الحجة لتبرير العقل ٠ ويسجل انجلز انه من السمات الخاصة لبروسيا ان الثورة البورجوازية بدأت سنة ١٨٠٨ الى سنة ١٨١٣ ثم اخذت من سنة ١٨٤٨ حتى نهاية القرن الصورة البونابرتية (٢٣) ٠

وقد شارك التيار الكاثوليكي والمفكرون الكاثوليك في دعم هذا التيار الرجعي فاصبحت الفضيلة الالمانية هي التي ستنتصر اخر الامر على الفساد اللاتيني ، وعلى الشعب الالماني ، ان يحرر نفسه اولا من المواثيق والدساتير « هذه الاوراق» التي تتحدث عن الحرية ٠ اما رسالة المانيا ، والشعب الالماني ، فهي قيام الدولة المسيحية الكبرى بفضل القوة وعقيدة الجامعة الجرمانية (٢٤) ٠ هذه الافكار والدعاوى التي ستترجم بنصها وحرفها الى دعاوى رسالة اسرائيل ٠٠ وقيام اسرائيل الكبرى بفضل التفوق والقوة والجامعة اليهودية ٠